**بين تسييس العسكر وعسكرة السياسة**

لم تعد الأزمة السياسية او ازمة السلطة التي تعيشها إسرائيل خافية على أحد ولم تعد محاولات تجميلها او تخفيفها او تلطيفها تنجح او تفيد كما انها لا تنطلي على أحد، فمعالمها واضحة كالشمس الساطعة بدءً بضعف السلطة التشريعية وسلطات تطبيق القانون كالشرطة ومراقب الدولة وغيرهم وانتهاءً بتنازل السلطة التشريعية طوعاً ولخدمة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو واستمراره في سدة الحكم، عن دورها ومهامها بل وسبب ومبررات وجودها، ولكن اذا كان ذلك لا يكفي جاءت تصريحات قائد هيئة اركان الجيش الجنرال أفيف كوخافي حول الاتفاق النووي مع ايران واحتمال عودة الولايات المتحدة في عهد بايدن اليه، لتضيف الى معالم الأزمة معلماً آخر ملخصه انضمام كوخافي الى جوقة " تسييس الجيش" التي تشمل ضباطاً في الجيش لا يكتفون بدورهم العسكري بل يتدخلون عن قصد او دونه في السياسة ربما لتسجيل مواقف تحسب لهم مستقبلاً ، وهم في ذلك لا يختلفون عن أعضاء جوقة " عسكرة السياسة " أي استخدام الجيش والأجهزة الأمنية ونشاطاتها وعملياتها لأهداف سياسية كما يفعل مرة تلو الأخرى بنيامين نتنياهو.

نزور أوروبا والدول المتقدمة فنستغرب وكأنها دول بلا جيوش ولا عسكر فالسياسة فيها يصنعها المدنيون ويديرها السياسيون، ومع ذلك نراها دولا قوية عسكرياً يهابها القوي قبل الضعيف ومستقرة سياسياً يعرف كل فيها حدوده وصلاحياته ولا تتشابك فيها الخيوط ولا تتداخل الدوائر، وفي أمريكا لا نرى في الواجهة السياسية إلا الرئيس والكونجرس والسياسيين يتكلمون عن حروبهم في شتى أنحاء العالم، وأما القادة العسكريين فلا يتكلمون إلا في الأمور التقنية والإجرائية فقط ولا يتعدون ذلك أبدا ، اما هنا في اسرائيل ، ويبدو ان ذلك يشكل خطوة أخرى في اندماجها في الشرق الأوسط سياسياً وحضارياً وليس فقط جغرافياً، فإننا نرى العسكر وبشكل متزايد يتدخلون ليس في السياسة فقط بل في أمور إدارية بحتة لا علاقة لهم بها، كما حدث خلال الحرب الاهلية في سوريا والتي نادى العسكريون فيها بالإطاحة بنظام بشار ألأسد واستبداله بنظام آخر، كما نرى تفاقم ظاهرة "تقديس العسكر" أي التهليل لقادة العسكر او قادة الأجهزة الأمنية كالشرطة والموساد وتمجيد قراراتهم ومحاولة تبريرها أحياناً بحجج مضحكة وعجيبة.

لم تكن تصريحات كوخافي الأولى من نوعها ولم تكن المرة الأولى التي يأخذ العسكريون لأنفسهم "عروشاً " ليست لهم، فقد سبقها على سبيل المثال لا الحصر تصريح رئيس هيئة الأركان مردخاي غور، في نهاية السبعينيات من القرن الماضي والذي حاول إقناع السياسيين، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء آنذاك مناحيم بيغن والوزيرين عيزر فايتسمان وموشيه ديان ، برفض قرار أنور السادات السياسي والمتمثل بإعلانه استعداده لزيارة إسرائيل والحديث امام برلمانها، محذراً من " مصيدة سياسية خطيرة " ، لكن تصريحات كوخافي تختلف عنها في امرين أساسيين أولهما أنها ليست محاولة للحديث في السياسة الداخلية او التأثير على قرارات الحكومة، وهو امر ليس من صلاحياته اصلاً ، وثانيها انها محاولة ربما غير مسبوقة من عسكري إسرائيلي ، للتدخل في سياسات الولايات المتحدة الخارجية ومحاولة " لتصحيح مسارها" بما يتفق ومصالح إسرائيل ، وكأن كوخافي لم يتعلم من عبر الماضي القريب أي من محاولات نتنياهو المتواصلة للتدخل في السياسة الامريكية الداخلية او حتى محاولة اتخاذ القرارات بدلاً منها او "تحريض" اطراف ومؤسسات أمريكية معينة على اتخاذ مواقف ضد رئيسها كما كان عليه الامر من خلال خطابات نتنياهو امام الكونغرس الاميركي وامام اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة " ايباك" ، التي شن فيها حملة شعواء ضد الرئيس باراك أوباما ، كما انه لم ينجح بعد في تذويت الاستنتاج المطلوب من تصريحات الرئيس جو بايدن حول موقف اميركا ورغبتها في العودة الى الاتفاق النووي وفوق كل ذلك لم يذوت بعد ان ما كان كان وما فات مات ، وان القادم مختلف وان قرارات اميركا وسياساتها تتخذ في اميركا ومن اميركا.

تصريحات كوخافي جاءت لتؤكد ما اصبح واضحاً وهو أن مساعي نتنياهو المتواصلة لمنع اميركا من العودة الى الاتفاق النووي مع طهران "نجحت في معركة واحدة لكنها خسرت الحرب " فاميركا ترامب انسحبت من الاتفاق النووي ولم تنجح في الغائه ناهيك عن انها رغم تصرفات ترامب غير المدروسة لم تجنح الى الخطوات العسكرية بل راوحت بين المد والجزر أي بين الرغبة في منع ايران من حيازة قنبلة نووية وبين الرغبة في ان يتم ذلك باتفاق وتوافق يبقي الباب مفتوحاً امام علاقات اقتصادية رغم العقوبات ،علماً ان اميركا ستعود الى الاتفاق اليوم بينما ايران أقرب الى القنبلة النووية من أي وقت مضى على ضوء قرارها تسريع تخصيب اليورانيوم وزيادة درجات اشباعه، وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح هو ما جدوى وما دوافع تصريحات كوخافي هذه التي يحذِّر فيها الولايات المتحدة من العودة الى الاتفاق من جهة والتلويح مرة أخرى بان الخيارات العسكرية ما زالت مطروحة، وهي التي كان سابقوه قد امتنعوا عن التلويح بها بينما رفضها وزراء دفاع في السابق منهم اهود براك، ليبقى احتمال كون هذه التصريحات تجيء لأهداف سياسية ملخصها التساوق مع تصريحات رئيس الوزراء ماثلاً بل حقيقياً ناهيك عن انها ربما تعبر عن "ضائقة كوخافي والجيش " في مواجهة منافسيه من المؤسسات الامنية الأخرى خاصة وان رئيس الوزراء نتنياهو يتلذذ بتحييد بعضها كما يتلذذ بتحييد وزير الأمن بيني غانتس كما حدث في اتفاقيات المصالحة مع الدول العربية التي قادها يوسي كوهين رئيس الموساد ومئير بن شبات رئيس مجلس الامن القومي " متجاوزين الجيش وقادته ووزارة الأمن ووزيرها"، لنجد كوخافي يستخدم في تصريحاته هذه تهديداً اسرائيلياً أصبح بفعل فوز بايدن بالرئاسة الأميركية وبسبب وضع نتنياهو السياسي والقضائي وهو يخضع لثلاث لوائح اتهام خطيرة ،خالياً من المضمون وهو الخيار العسكري.

وعملاً بالقول " من شابه اباه ما ظلم" يبدو ان كوخافي لم يفهم تأثير وأبعاد تصريحاته هذه على العلاقات الثنائية الأميركية الإسرائيلية خاصة في هذه الفترة التي ينشغل فيها الرئيس بايدن بأمور اهم في نظره من الاتفاق النووي مع ايران ومنها مواجهة الكورونا التي أوقعت مئات آلاف الضحايا وألحقت بالإقتصاد الأمريكي خسائر منقطعة النظير ، إضافة الى عمله على إشغال كافة المناصب في ادارته الجديدة ومحاولة إصلاح الأضرار التي خلفها ترامب وراءه، وهو في هذا يشبه تماماً "أباه" نتنياهو الذي لم يفهم آنذاك أبعاد مواقفه المعادية لباراك أوباما والديمقراطيين ومراهنته بكل ما يملك على ترامب والجمهوريين ضارباً عرض الحائط بمبدأ حكم العلاقات بين البلدين ملخصه " الحفاظ على العلاقة السليمة مع الحزبين وعلى قدر المساواة"، كما انه من الواضح ان نتنياهو وعسكرييه لم يستوعبوا بعد ان بايدن المخضرم والمجرب اضعاف أضعاف نتنياهو انما يخلق قواعد جديدة للعبة السياسية مفادها انه بعكس ترامب لا ينحني امام اول ضغط او تهديد او لوبي بل ان مصلحة اميركا هي التي تنير طريقه، ومن هنا جاء قرار تجميد صفقة الطائرات مع الامارات العربية المتحدة لفحص جدواها لأمريكا خاصة تلك الاقتصادية وقيمتها 23 مليار دولار، ما يؤكد ان الإدارة الجديدة لن تجعل بيع الأسلحة المتطورة لدول في الشرق الأوسط ثمناً تدفعه لتمرير اتفاقيات مصالحة بين هذه الدول ومنها السعودية ( التي طلبت الحصول على قنابل دقيقة التوجيه) وإسرائيل على سبيل المثال، رغم انه من المرجح ان لا يتم الغاء الصفقة بكاملها بل ربما تأجيلها واشتراطها بشروط جديدة.

ما سبق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتخابات ولعل أفضل دليل على ذلك هو زيارة نتنياهو المقررة الى الامارات والبحرين والتي كان من المقرر ان تستمر 3 أيام يهلل الاعلام فيها لنتنياهو ويمجد قدرته على تحقيق السلام مع دول عربية وفي مواجهة ايران بصفته القائد الفذ عالمياً واقليمياً ومحلياً، مقابل المبتدئين والمتتلمذين من منافسيه ، لكنها "تقلصت" بقدرة قادر الى 3 ساعات" خبط العصا " بالعامية او " مسافة السِكَّة" باللهجة المصرية ليتم الغاؤها صباح الخميس بإدعاء ان رئيس الوزراء "لا يريد خرق قرار اغلاق الأجواء والمطار في إسرائيل" (وكأَن نتنياهو لم يكن يعلم ان المطار مغلق رغم انه هو من قرر ذلك) ، ذلك إضافة الى انه اتضح ان " ثمار" المصالحة بالنسبة للإمارات ليست مضمونة امريكياً وبعد ان اتضح للإمارات ان المصالحة برعاية ترامب لا تجعلها محصنة من الانتقادات من مسؤولين اسرائيليين منهم مسؤولة صحة الجمهور في وزارة الصح الدكتورة شارون الروعي برايس التي قالت ان" ضحايا السلام مع الامارات جراء الكورونا فاقوا بكثير عدد ضحايا حالة الحرب لمدة سبعين عاماً معها"، وبالتالي سيضطر نتنياهو في نهاية المطاف الى الاكتفاء ربما بزيارة " دعاية انتخابية مكشوفة" تتم عشية الانتخابات البرلمانية وهي زيارة لن تعود على نتنياهو بالمردود الانتخابي والفائدة السياسية كما أراد ، خاصة على ضوء الجفاء من إدارة بايدن الذي لم يكلف نفسه بعد عناء الاتصال هاتفياً حتى بنتنياهو بعكس تصرف إدارة ترامب التي كانت مستعدة لبذل الغالي والنفيس لضمان فوز نتنياهو في الانتخابات البرلمانية

نتنياهو أراد لهذه الزيارة ان تشكل حافزاً لأتباعه ومؤيديه يحمل في طياته رسالة ان عليهم ان يخرجوا الى التصويت لأعلى نسبة عملاً بقول اريئيل شارون المشهور" اخرجوا للتصويت לכו להצביע" ، وهذا من منطلق ادراك نتنياهو ان نسبة تصويت منخفضة وعلى خلفية آفة الكورونا وعدد الضحايا واستمرار الاغلاقات من جهة والاضرار الاقتصادية القاتلة وانعدام تطبيق القانون على الحريديم وإبقاء أماكن العمل والصلاة والمعاهد الدينية مفتوحة خوفاً من انفراط عقد التحالف التاريخي بين نتنياهو والحريديم، مقابل خنق الاقتصاد لباقي المواطنين واغلاق المدارس وتقييدات الحريات والحركة، قد ينتهي الى نسبة تصويت منخفضة تمس بتمثيل وتحصيل الليكود وأحزاب اليمين ، ويقيناً انها ربما المرة الأولى التي سيتمنى نتنياهو ان " يهرول اتباعه ינהרו" الى صناديق الاقتراع وان " يهرول العرب ינהרו" هم ايضاً الى صناديق الاقتراع للتصويت بما يتفق وعلاقة الهَيام والحب والغرام التي اعترف بها نتنياهو تجاههم مؤخراً، علماً ان انخفاض نسبة التصويت في الانتخابات البرلمانية هو آفة تنتشر في العالم حيث وصلت في البرتغال في الانتخابات الأخيرة الى 39% فقط وفي مصر الى 67% فقط والى 57% في أوزبكستان.

خيبة الامل التي يشهدها هذه الانتخابات المجتمع العربي الذي رفع نسبة تصويته في المعركتين الانتخابيتين الأخيرتين ورفع بالتالي نسبة التصويت القطرية، خاصة على ضوء أزمة المشتركة وخلافاتها الداخلية غير المبررة (أزمة ستبقى ماثلة وحاضرة ومقلقة بغض النظر عن خوضها الانتخابات في قائمة واحدة او قائمتين ) من جهة واستفحال العنف من جهة أخرى، قد يدفع بأعداد متزايدة من المصوتين العرب الى البقاء في بيوتهم خاصة اذا استمرت القيود الكورونية والإخبار المضللة Fake News حول التطعيمات والكورونا، ما سيعود بالضرر على التمثيل العربي رغم ان خيبة الأمل لا تقتصر على المواطنين العرب بل تصل مؤيدي المركز واليسار الذي خاب أملهم وسئموا " أحزاب الموضة المؤقتة" التي بدأت مع كديما مروراً بحزب " ازرق ابيض" وانتهاءً بالأحزاب التي ظهرت على الشاشة عشية الانتخابات القريبة.